تنبيه هام: هذا التفريغ ليس قابل للنشر، فلم يعتمد من الشيخ – حفظه الله– بعد، فمن وجد خطأً نرجو تنبيهنا عليه فوراً.

شَرْحُ كِتَابِ أَعْلَامُ السُّنَّةِ الْمَنْشُوْرَةِ لِلْحَكْمِيِّ

– رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى –

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أسَامَة بْنُ عَطَايَا العتيبِي

–حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى –





دروس معهد البيضاء العلمية

الدورة الثالثة

تفريغ: طالبات معهد البيضاء العلمية

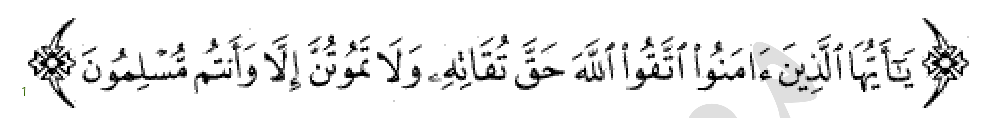
1431هـ - 1432هـ





بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.


﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[3]

أما بعد،

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم- وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فما زلت معكم في التعليق على كتاب أعلام السنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة المعروف بمائتي سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية للشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي – رحمه الله تعالى – المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية.

وقد سبق في الدروس الماضية الحديث عن أنواع المعاصي ،والاعتبارات التي تنقسم بها الذنوب و المعاصي وصار نوع من التفصيل حول الكبائر و الصغائر

[1] - آل عمران :102
[2] - النساء :1
[3] - الأحزاب : 70-71

وما هو الذي يكفر الصغائر ؟ و هل فعل الحسنات يكفر الصغائر و الكبائر أم الصغائر فقط ؟

وذكرت الراجح من ذلك .

وحكى بعض أهل العلم الإجماع عليه ،و إن كان وقع النزاع و لكن لقلة المخالف في هذه المسألة

وذكرت تفصيلا" وسطا" في المسألة :

و هو أن هذه الأعمال الفاضلة ،و هذه الحسنات تمحو الصغائر بلا شك أما الكبائر فلا تمحها إلا في حال واحد غير حال التوبة فإن حال التوبة

- والتوبة شرط لمحو الكبائر:

لكن إذا اقترنت هذه الأعمال الصالحة : كالصلوات الخمس و الجمعة و رمضان أو العمرة و كثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة و إسباغ الوضوء و الإستغفار الذي ورد فيه الأجر المكفر للسيئات ،فإن هذه إذا اقترن وقت قولها أو فعلها ندم على الكبائر و المعاصي وقام في قلبه خشية الله والخوف منه و حب الله – جل و علا – و الإنابة إليه فإن ما قام في القلب مع اقترانه بهذه الأعمال الصالحة يحرق الذنوب كلها ،لأن " النَّدَمُ تَوْبَةٌ " كما قال - صلى الله عليه وآله وسلم –

[المتن]

ثم قال – رحمه الله تعالى – مبينا بعض أحكام التوبة التي تغفر السيئات صغيرها وكبيرها

فقال – رحمه الله تعالى – في السؤال التاسع والثمانين بعد المائة:

بماذا تكفر جميع الصغائر والكبائر ؟ يعني ما الذي يكفرها كلها

الجواب : تكفر جميعها بالتوبة النصوح

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[1]

[1] - التحريم : 8



وعسى من الله محققة قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [1]

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [3]

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [4]

وغيرِها أو وغيرُها من الآيات وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " الْتَّوْبَة تَجِب مَا قَبْلَهَا " وقال – صلى الله عليه وسلم –: " لَله أَفْرَح بِتَوْبَة عَبْدِه مِن رَجُل نَزَل مَنْزِلا وَبِه مَهْلَكَة وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ قَال أَرْجِع إِلَى مَكَانِي فَرَجَع فَنَام نَوْمَة ثُم رَفَع رَأْسَه فَإِذَا رَاحِلَتُه عِنْدَه "

هذا هو جواب الشيخ حافظ – رحمه الله تعالى –

[الشرح]

[1] - الفرقان : 70

والحديث الذي ذكره " الْتَّوْبَة تَجِب مَا قَبْلَهَا " لا أصل له بهذا اللفظ كما ذكره شيخنا الألباني – رحمه الله تعالى – وإنما ما ورد " التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ " وصح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال " أَمَا عَلِمْت أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ **مَا** كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ **مَا** كَانَ قَبْلِهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ **قبله** "

والنبي – صلى الله عليه وسلم – قال :" النَّدَمُ تَوْبَةٌ "

- التوبة تجب ما قبلها :

فالتوبة تجُبُّ ما قبلها بمعنى أنها تغفره وتكفره ،لكن لم يأت حديث أن التوبة تجب ما قبلها ولكن هذا المعنى حق ،فجميع الذنوب من الشرك الأكبر وهو أعلى الذنوب إلى أدنى الذنوب والمعاصي من الصغائر كل هذه الذنوب تكفر بالتوبة لأن التوبة إذا تاب الإنسان بمعنى رجع إلى الله – جل وعلا – وطلب الإقالة تاب ورجع فإن لله – جل وعلا – يغفر له ما سلف وكان إذا قام في قلبه صدق وإخلاص وندم وعدم إصرار على المعصية التي يتوب منها

- لماذا سميت التوبة بالنصوح ؟

والتوبة سميت بأنها نصوح لأنها صادقة ،لأن الناصح يعني الصادق الصافي فهي توبة صادقة بخلاف توبة الكذابين الذين يقولون تبت إلى الله وهو مقيم على المعصية وهو مصر عليها بقلبه ،يعزم حال توبته المزعومة أن يستمر في المعصية والمنكر فهذه توبة الكذابين

إنما التوبة الحقة الصادقة أن يقتنع في قلبه إخلاص لله – جل وعلا – وصدق في طلب الإقالة من الذنب لذلك سميت التوبة بالنصوح والله –جل وعلا – يقول : قَالَ تَعَالَى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[1]

ثمرة التوبة :

وثمرة هذه التوبة ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[1]

يعني أن الله – جل وعلا – وعدكم أن يكفر عنكم سيئاتكم إذا تبتم ،بل الإنسان إذا تاب وأناب ورجع أصبح صافيا فاستحق دخول الجنة ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[2]

- رب العزة والجلال عسى منه محققة :

وقوله هنا رحمه الله عسى من الله محققة ،هذا كلام كثير من أهل العلم ، عسى ليست لنا مثل ما نقول نحن للترجي عسى أن نفعل كذا ،لا، المراد ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[3] ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[3] ونحو ذلك من الآيات ، هذا للتحقيق لأن



الله – جل وعلا – هو المرجو، ونحن إذا قلنا عسى كذا نترجى، لكن رب العزة والجلال عسى منه محققه و قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [4]

وهذه الآية وما بعدها وما قبلها من سورة الفرقان قال الله – جل وعلا – في صفات عباد الرحمن :: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [5] ومن يفعل ذلك يعني من الشرك الأكبر قتل النفس والزنا يلق أثاما قَالَ تَعَالَى: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [1] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يخلد في العذاب مَهينا ذليلا حقيرا

- إيمان الكافر توبته من كفره :

فإذا كان مشركا مقترفا للذنوب والكبائر والسيئات وتاب إلى الله – جل وعلا – وآمن ،وذكر الأيمان هنا لأنه كان كافرا لقول الله – جل وعلا – ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [2]

---
1 - الفرقان : 69
2 - الفرقان : 68

فإذا دعا مع الله إلها آخر وجب عليه الإيمان وإيمانه توبته ،إلا من تاب من كفره و آمن إلا من تاب وآمن ثم لم يكتف بدعوى الإيمان بل لابد أن يكون يعمل الصالحات بخلاف تلك الأمور التي هي من السيئات ،وهي الشرك وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ،والزنا الفاحشة فهذه الذنوب أعمال سيئة

- ثواب التوبة :

فالإنسان إذا تاب وآمن وقرر ذلك بالعمل الصالح من صلاة، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصوم، وحج، وزكاة، ونحو ذلك فهؤلاء الذين تابوا وأنابوا وعملوا الصالحات والحسنات فإن الله – جل وعلا – قد وعدهم أن يثيبهم بأن يبدل تلك السيئات التي عملوها حال كفرهم إلى حسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [1] فلم يقتصر على أنه يتوب عليهم ويغفر،لهم بل حتى السيئات تبدل إلى حسنات وهذا فضل الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [2] ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾ [3] يعني هي التوبة التي ترجع والتي يريدها المؤمن ويسعى إليها .

- ثواب التوبة عام للجميع :

وتبديل السيئات حسنات ليست مختصة بالكافر الذي يتوب ويؤمن بل حتى العاصي حتى الذي في مجالس الذكر كما في الحديث " قُوْمُوْا قَد بَدّل الْلَّه سَيِّئَاتِكُم حَسَنَات " من

[1]- الفرقان : 70
[2] - الفرقان : 70
[3] - الفرقان : 71



يحضر مجالس الذكر مخلصا لله ،مبتغيا العلم والهدى فإن سيئاته تبدل إلى حسنات لكن بشرط أن يستمر على الصالحات حتى لا يؤاخذ باللاحق والسابق والله أعلم.

[المتن]

ثم قال – رحمه الله– : قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[1] من الفواحش الأخلاقية أو الخلقية كزنا واللواط أو ألفاظ البذيئة والسب والشتم والقذف ونحو ذلك. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[2] كالشرك أو بالذنوب والمعاصي ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾[3] يعني تذكروا ربهم فذكروه في أنفسهم وذكروه بألسنتهم فاستغفروا لذنوبهم وندموا على ما فات وما عملوا ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[4] فذكر عنهم الاستغفار ثم ذكر أنهم تركوا الإصرار على تلك الذنوب فقال : ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5]

لم يستمروا في تلك الذنوب والمعاصي ولم يكن في قلوبهم عزم أكيد على فعل تلك المعاصي ،

- التائب يستعيذ بالله من وساوس الشيطان :

[1] - آل عمران : 135
[2] - آل عمران : 135
[3] - آل عمران: 135
[4] - آل عمران : 135
[5] - آل عمران : 135

فالإنسان يجزم في قلبه ألاَّ يعص وليس معنى هذا أنه لا يأتيه الوسواس أن يعصي، الإنسان ليس مطلوبا منه أن ينفي الوسواس فإنه لا يستطيع ، إنما يستعيذ بالله من الشيطان لكن ينفي من قلبه العزم على فعل الذنب وحركة القلب .هذا الذي ينفيه الإنسان أما إذا كان في خواطر في هواجس في وساوس ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [1] أنهم مذنبون، فالإنسان لا يسمى مصرا إلا إذا كان يعلم أن هذا ذنب ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [2] وهم يعلمون دليل على أن الإنسان إذا عصى الله ،فهو جاهل وعمل السوء بجهالة فالإنسان قد يجني على نفسه فيعصي الله لذلك جاء في دعاء الخروج من المنزل ، " اللَّهُم إِنِّي أَعُوْذ بِكَ أَن أَزِل أَو أُزَل أَو أَضَل أَو أُضَل أَو أَظْلَم،أَو أُظْلَم أو،أَجْهَل أَوَيُجْهَل عَلَي " . O

- العلم نور والجهل ظلام :

فالإنسان إذا جهل عصى الله وارتكب المنكر وآذى عباد الله ،فبالعلم والهدى لا يصر الإنسان على المعصية ولا يصر على فعل المنكر فهؤلاء الذين يعلمون ويتوبون إلى ربهم ويستغفرون و على ذنوبهم لا يصرون ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [3] تغفر ذنوبهم وتمحى ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [4] نعم أجر العاملين الذين عملوا

---

[1] - آل عمران : 135
[2] - آل عمران : 136
[3] - آل عمران : 136
[4] - آل عمران : 136



بطاعة الله وابتعدوا عن معصية الله وتابوا مما أذنبوا وغيرها من الآيات لقول الله – جل وعلا –: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1]

وقال الله – جل وعلا –: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]

والآيات في التوبة كثيرة وحديث الرسول –صلى الله عليه وسلم –:" الْتَّوْبَة تَجِب مَا قَبْلَهَا " لا يصح ليس له أصل وإنما قال – صلى الله عليه وسلم –: " التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ " .

- التوبة تمحو ما سلف :

يعني أن التوبة تمحو ماسلف وهذا صريح كتاب الله – جل وعلا – وقال – صلى الله عليه وسلم – " لِلَّه أَفْرَح "، يعني مما يبين منزلة التوبة أن الله – جل وعلا – يفرح بها ويحبها و يرضاها لذلك العبادة لا بد أن تكون محبوبة لله مرضيا عنها ،هذه هي التي تسمى عبادة يأمر الله بها و يحبها " لَلَّه أَفْرَح بِتَوْبَة عَبْدِه "، يعني هو أشد فرحا من هذا الرجل الذي وجد ضالته بعد أن أيس منها وأستسلم للموت ،هو فرح فرحا شديدا ومن شدة فرحه أخطأ ، "وَقَال الْلَّهُم أَنْت عَبْدِي وَأَنَا رَبُّك " ،مع ذلك غفر الله له ذلك والله –جل وعلا – يفرح إذا تاب عبده أشد من فرح هذا الرجل بوجدان ضالته. فالله – جل وعلا – الغني عنا ونحن الفقراء إليه مع ذلك يفرح إذا فعلنا ما يرضيه فلا بد أن نسعى فيما يفرح ربنا الغني – سبحانه وتعالى – ونتجنب ما يغضبه .قال "لَلَّه أَفْرَح بِتَوْبَة عَبْدِه مِن رَجُل نَزَل مَنْزِلا وَبِه مَهْلَكَة " وبها مهلكة ،يعني أنها صحراء أو مكان يعني يضيع فيها و يتوه فيها يعني الناس ومعه

[1] - طه : 82
[2] - النور : 31

راحلته حيث أنها فيها النجاة بإذن الله ،وهذه راحلته التي يركبها عليها طعامه وشرابه الذي يجيزه من هذه المهلكة ويمر عنها وهو معافى بإذن الله .قال:

" فَوَضع رَأْسه فَنَام مِن الْتَّعِب فَنَزَل عِند شَجَرَة وَرَبَط نَاقَته فَنَام فَاسْتَيْقَظ مِن نَوْمِه فَلَم يَجِد الرَّاحِلَة فَقَد ذَهَبَت رَاحِلَتُه حَتَّى اشْتَد عَلَيْه الْحَر وَالْعَطَش اشْتَد عَلَيْه الْحَر وَقَام قَائِم مَن الْظَّهِيْرَة وَزَاد الْعَطَش أَو مَا شَاء الْلَّه فَبَحَث عَنْهَا حَتَّى أَيِس مِنْهَا فَقَال ارْجِع إِلَى مَكَانِي الذى الَّذِي اضل رَاحِلَته فَنَام فِي نَفْس الْمَكَان ثُم رَفَع رَأْسَه لَمَا اسْتَيْقظ فَإِذَا رَاحِلَتُه عِنْدَه فَقَال الْلَّهُم انْت عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِن شِدّةُ الفَرّح " ، وهذا الحديث خرجه البخاري و مسلم.

- التوبة وشروطها :

السؤال التسعون بعد المئة ماهي التوبة النصوح ؟ يعني هل التوبة لها شروط لو كان هناك مبتدع فقال تبت أو فاسق قال تبت هل كل من قال تبت توبته صحيحة ،لا... التوبة لها شروط ما هي الشروط ؟

[المتن]

قال رحمه الله: ماهي التوبة النصوح ؟

الجواب: قال هي الصادقة التي اجتمع فيها ثلاثة أشياء:

الاول: الإقلاع عن الذنب.

الثاني: الندم على ارتكابه .

الثالث: العزم على ألاَّ يعود أبدا.

وإن كان فيه مظلمة لمسلم تحللها منه إن أمكنه فإنه سيطالب بها يوم القيامة إن لم يتحللها منه اليوم، ويقتص منه لا محالة وهو من الظلم الذي لا يترك الله منه شيئا، قال – صلى الله وعليه وسلم – " مَنْ كَانَ

عِنْدَهُ لِإخِيَهِ مَظْلَمَةٌ فَلِيتّحَلّ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ".

[الشرح]

فهنا ذكر – رحمه الله تعالى –، أن التوبة الصادقة الناصحة الخالصة، هي التي تجمع شروطا:

- الشرط الاول: الإقلاع عن الذنب

أن يقلع عن الذنب، فالذنبُ إما أن يكون شركًا، وإما أن يكون شركًا أصغر، أو كفراً أصغر، وإما أن يكون بدعة، وإما أن يكون نفاقًا، وإما أن يكون كبيرة من كبائر الذنوب، وإما أن يكون صغيرة، فالتائب التوبة النصوح.

أولا: لابد أن يقلع عن الذنوب

- معنى الإقلاع عن الذنب :

والاقلاع عن الذنب هو تركه والابتعاد عنه ،مثلا الزنا يبتعد عن الزنا ،الخمر يبتعد عن الخمر، لكن وهو يشرب يستغفر أو ماسك السيجارة الدخان في فمه، ويقول أنا تبت من التدخين وهو يدخن هذا لاعب، فالإقلاع عن الذنب شرط من شروط التوبة النصوح وهذا معنى التوبة رجع ،ترك ،تاب أما إذا لم يترك، هذا لم يتب، وإذا كان الذنب مستمراً لا يستطيع أن يزيله الآن فهو يقوم في قلبه إقلاعًا عن الذنب ،لأن الإقلاع عن الذنب يكون بالقلب و بالجوارح،

- الإقلاع عن الذنب بالقلب :

إقلاع بالقلب يعني أن يبغض هذه المعصية، وأن يكرهها وأن يعزم على تركها، فقلبه يترك التعلق بالمعصية ،فهذا الإقلاع القلبي ينفي الإصرار،عكسه الإصرار،فإذا أصر في قلبه على الذنبِ ،وهو في نفسه أنه سيعمل ،وأنه لم يتركه من قلبه، ولم يبغضه يعني ارتكابا وفعلا ،وإن كان يعتقد حرمته لكن هو في قلبه يصر على العمل، وأنه غداً أو بعد غداً سيعمل، يعزم على ذلك، هذا لم يقلع من قلبه ،

- الإقلاع الظاهر :

وهناك الإقلاع الظاهر وهو العمل الذي تكون به المعصية إن كانت عملًا ظاهراً أو قوليًا، لأن المعاصي منها ما يكون كما ثبت في بيان اعتبارات لأنواع المعاصي أن هناك معاصي تكون بالقلب، مثل الكِبْرْ فمعصية الكبر قامت في القلب،

- الإقلاع عن الذنب يكون بانكسار لله – عز وجل – :

فإقلاعها يكون بنفيها من القلب ،وانكسار القلب لله – جل وعلا – والتواضع لعباد الله ،وهكذا جميع الذنوب القلبية كذلك العملية والقولية بعد أن يقلع عنها بقلبه يتركها أيضا بظاهره فلا يعود مثلا إلى القذف و الغيبة والنميمة والسب والشتم ،ونحو ذلك من الذنوب التي تقوم باللسان، كذلك التي تقوم بالجوارح فيقلع عن الذنب ،أما مثلا إنسان حلق لحيته ، فهذا يقلع بقلبه وفي ظاهره لا يحلق لكن يستمر يتركها حتى يعفيها حتى تكبر المهم أن يقلع عن الذنب بقلبه وبجوارحه ،وكذلك إذا كان بدعة قولية أوعملية أو اعتقادية ،أيضاً يقلع عنها أو شرك يقلع عن الذنب ،

- الشرط الثاني : الندم على ارتكاب الذنب

الثاني : الندم على ارتكابه ،يندم وينكسر قلبه ،لأنه فعل هذا المنكر،أما إذا قال أنا أذنبت حتى آدم أذنب كثير الأنبياء منهم من أخطأ وفلان أخطأ وفلان أخطأ واستغفر الله، وانتهينا، هذا ما قام في قلبه الندم ، بل هذا مستكبر،الذي يبرر أخطائه ويُصرعلى أن فعله إنما فعل بقية الناس، هذا أين الندم الذي في قلبه؟ الإنسان إذا ندم وعبر بلسانه عن ندمه يستغفر ويتوب ولا يعود إلى ذكر هذا الذنب ويبرر لنفسه، ونحن بُلينا بأناس يعمل المنكر ويقول إنه تاب، ثم إنه يُعلن للناس أن ما فعله شيء طبيعي وهذا لا بأس به، وأنه زلَّ والزلة محتملة ،لكن لو أن إنسانًا أذنب ثم تاب وهناك أُناس يُعيِّروه بذنبه فله أن يحتج عليهم بالقدر كما في قصة تحاج آدم وموسى – عليهما السلام –، فالإنسان يحتج بالقدر على المصيبة أنه أُصيب بمصيبة فتاب والله يتوب على التائبين، أما أن يدافع عن نفسه بحيث أن يفهم السامعون أنه كغيره يخطيء وأن فعله لا بأس به ولماذا أنتم أنكرتم ؟ أنكروا عليك مسألة أنك كذبت لكن إذا تبت خلاص الناس ما

ينكرون عليك التوبة ينكرون عليك الذنب والإصرار عليه. إذاً لابد من الندم على ارتكاب الذنب والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: " النَّدَمُ تَوْبَة "

- الشرط الثالث: العزم على عدم العودة

[المتن]

قال: العزم على ألاَّ يعود أبداً.

[الشرح]

وهذا تأكيد على الإقلاع عن الذنب وتأكيد على عدم الإصرار ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾[1]

يعزم بقلبه ألاَّ يزنى ألاَّ يشرب الخمر، وحتى لو حصل وبعد ذلك وشربها لكن المهم أن يعزم حتى تتم توبته النصوح التي تُحرق الذنوب كبائرها وصغائرها.

فهذه ثلاثة شروط تجب للتوبة من كل الذنوب من الشرك والبدعة وكل شيء.

- وهناك شرط رابع:

وهو الإخلاص لله – جل وعلا – في التوبة، ألاَّ يكون هذا أمام الناس للرياء كمن يكتب توبته أو يُعلن بالصحف أو بغيرها أني تبت ولكن يريد بهذه التوبة أن يشكره الناس وأن يمدحوه، فالرياء مبطل للعمل ويقدح في صحته، لذلك الإنسان يخلص لله – جل وعلا – في توبته ورجوعه إليه – سبحانه وتعالى –، هذا الشرط الرابع.

- الشرط الخامس :

يتعلق بمن عليه حقوق للناس حق العباد، فإذا كان سرق، اغتصب، أخذ شيء من مال الناس عليه أن يرده لهم، غَصَب ونحو ذلك أن يرده إليهم،

[1] - آل عمران: 135



- الغيبة وطرق التحلل منها :

أما إذا كانت الغيبة فقد صح في الحديث أنه يجب أن يتحلل من هذه الغيبة، والتحلل من هذه الغيبة أن يذهب إلى من اغتابه فيعتذر منه؛ لأن الحق للعبد هذا حق للعبد لابد أن يذهب إليه وأن يطلب منه أن يعفو عنه، لكن بعض العلماء ذكر أنه إذا خشي أن تزيد المفسدة وأن يتحقق به ضرر فحينئذ ليس عليه أن يذهب ويعتذر منه بل يذكره بخير ويستغفر له، وهذا ذكره بعض العلماء والكلام هذا فيه نوع من الصحة؛ لأن المصالح هنا إذا تزاحمت مع المفاسد إذا تضادت مع المفاسد، وُجِدَ مع المصلحة مفسدة أعظم فإن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة ،وعدم ذكرك له أفضل ،لكن إذا علمت أنه يقبل وهذا إذا كان كريم الأخلاق حسنها فلا بأس بذلك، وهذا هو الواجب أنك تعتذر منه وتقول: قد اغتبتك فاغفر لي واعف عني، هذا هو الواجب أن تعتذر منه لأنها مظلمة

- لا تُفلس نفسك يا عبد الله :

وهكذا لا يجوز للإنسان أن يظلم أخاه، ولا أن يَنُم عليه، ولا أن يغتابه، ولا أن يستهزئ به، ولا أن يأخذ ماله بغير حق، ولا أن يهتك عرضه، ولا أن يخبب الزوج على زوجته والزوج على زوجها، لا يفعل من السوء ما يظلم به عباد الله بل يجب عليه أن يتحلل منه وأن يطلب العفو ممن ظلمه، والنبي – عليه الصلاة والسلام – قال لأصحابه: " أَتُدرُونَ مَن الْمُفلِسْ أَو مَا الْمُفلِس ؟ " قالوا : المُفلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع ، فقال – صلى الله عليه وسلم -: " إِن الْمُفْلس مِن أُمَّتِى يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَد شَتمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَربَ هَذَا فَيُعطَى هَذَا مِن حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ فَإِن فَنِيَت حَسَنَاتُه قَبْل أَن يُقْضَى ما عَلَيْه أُخِذ مِن خَطَايَاهُم فَطُرِحَت عَلَيْه ثُم طُرِح فِي النَّار "



وهذا الحديث تأكيد لما قد ذكرته عدة مرات أن الإنسان قد يعمل الصلاة والأعمال الصالحة ثم يأتي يوم القيامة وليس عنده من العمل إلا مقدار ذرة من الإيمان ، وهو عنده عمل كثير لكن هذا العمل يذهب هباءاً منثوراً ولا يكون له أي قيمة في الحساب

- المفلس من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – يحتاج يوم القيامة للشفاعة:

فلذلك يحتاج إلى الشفاعة يعني حديث الشفاعة الذي فيه أن النبي ـ صلى الله علي وسلم ـ يأمره الله أن يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان هذا يشمل أُناساً يحافظون على الصلوات الخمس ،يشمل أُناساً يحافظون على صيام رمضان بل وصيام النوافل ،ويحافظون على الزكاة ،ومع ذلك يحتاج يوم القيامة إلى شفاعة الشافعين لأنه لا يبقى عنده في القلب إلا مقدار ذرة من الإيمان ستقولون كيف ؟

أولاً إذا كان الإنسان ظالماً لعباد الله كما في هذا الحديث مفلس عنده عمل كثير ولكن لما يأتي الحساب بما فعله من ظلم للعباد وأتى الميزان فهذا الرجل يؤخذ من حسناته لمن ظلمه فتوزع هذه الصلاة والصوم والزكاة ذمته بريئة بالفريضة لكن أين الحسنات ؟ أين الأجر ؟ أين الإيمان المثمر ؟ كله ذهب ووزع على الناس ما بقي عنده شيء من العمل الصالح ،ماذا فعلوا أيضاً تأتي سيئات هؤلاء الناس الذين ليس عندهم من الحسنات ما يغطي فيعطى من سيئاتهم عليه فلا يبقى عنده إلا السيئات ،وأصل الإيمان عنده مثقال ذرة من الإيمان أوعنده أصل الإيمان فقط لا إله إلا الله ،وما يصح به قول لاإله إلا الله مع أنه يصلي ويصوم ويحج ويزكي فانتبهوا لهذا راعاكم الله

- الفهم الصحيح لحديث الشفاعة :

يعني بعض الناس لا يفهم حديث الشفاعة فهماً صحيحاا ،يظن أن حديث الشفاعة أنه إذا جاء بإيمان مثقال ذرة أنه ليس صلاة ولا صوم غير صحيح هذا نعم هناك أُناس قد لا يكون عندهم صوم ولا صلاة ،وهؤلاء الذين يكونون في زمن الفطرة أو في أخر الزمان يعني حيث لا يعرفون صوم ولا صلاة إنما يعرفون لا إله إلا الله ،هذا معروف لكن أُناس يصلون ويتصور فيهم هذا نعم عندنا هذا الحديث حديث المفلس ،عندنا حديث الذين يأتون يوم القيامة وعندهم حسنات كالجبال كجبال تهامة فيذهبها الله

- سبب ضياع الحسنات :

لأنهم كانوا إذا خلو بمحارم الله انتهكوها ،كذلك الذي يشرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا ،كذلك الذي يأتي كاهنًا أو عرافًا أو يجلس للعرافين أو يشاهد قنوات العرافين ويتصل بهم فهذا لا تقبل له صلاة ،كذلك الذي يكون رقيقا عبداً فيهرب من سيده ،فهؤلاء نماذج لأُناس عندهم أعمال من أعمال الخير والبر الكثير الكثير كالجبال ولكنه بالبدعة كذلك البدعة المبتدع أو المحدث الحدث في المدينة لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً لا فريضة ولا نفلاً ،فالذي يحدث في المدينة البدع والمحدثات هذا لو أتى بحسنات كالجبال ،لا تقبل منه وتكون هباءاً منثورا فالأمر خطير بارك الله فيكم ليس مجرد وجود الحسنات ،أو أن الرجل يصلي فقد كتبت له براءة من النار ،لا إذا كان الصلاة صحيحة والرجل لم يرتكب ما يذهب أجرها فانتبهوا لهذا رعاكم الله واحموا أنفسكم من هذه الأمور

- معنى التوبة النصوح :

لذلك التوبة النصوح ،أن ترد المظالم إلى أهلها وأن تطلب منهم أن يعفوا عنك ،هؤلاء الذين ظلمتهم واغتبتهم ووشيت بهم وآذيتهم فانتبهوا لهذا راعاكم الله.



• شروط توبة المبتدع :

والمبتدع بينه وبين الله هذه الشروط ،يعني المبتدع يزيد في شروط التوبة قبولها عند الناس عند الله هذه الشروط الخمسة تشمل المشرك والفاسق والمنافق والمبتدع إذا تاب واقلع عن الذنوب واخلص لله وندم وعزم على ألا يعود عليها ،ورد المظالم إلى أهلها هذا توبته بينه وبين الله لا أحد يحجزه عنها ،لكن نحن أمامنا إذا كان الشخص مبتدعًا فهذا الرجل لابد في الحذر منه ،كذلك الساحر كذلك المنافق معلوم النفاق هذا لو تاب نحن لا نرد توبته ،لكن لابد أن نكون حذرين منه لأن هؤلاء توبتهم في العادة صعبة ونادرة وشرهم قد يكون باطنًا لا نشعر به ،لذلك نحن نحتاط فمن العلماء من قال إن المبتدع يترك سنة إذا تاب فإن ثبت على السنة ثبت على الدين ،فنرجع إليه كما أمر عمر – رضي الله عنه– بهجر صبيغ فلما استقام حاله أمر الناس أن يرجعوا إليه ،لكن نحن في زمان لكثرة الفساد وضعف النفوس بمجرد أن يتكلم المبتدع الفاجر المجرم بكلمة يشعر منها أنها توبة يطرب لها أناس ويتخذون هذه الكلمات المشعرة بالتغير سيفا يضربون بها أهل السنة ،ويطعنون فيهم ويرفعون عقيرتهم بالسوء ،ويمدحون أهل البدع والأهواء كما حصل من توبة محمد حسان المزعومة فاتخذوا هذه التوبة تُكأةً لضرب السلفين ،والطعن في العلماء وفي أحكامهم وللرفع من منزلة أهل البدع والضلال ،فاحذروا من أهل الأهواء والله تعالى أعلم.

ثم ذكر في السؤال الذي بعده متى تنقطع التوبة وهذا إن شاء الله يكون في الدرس القادم والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين .